مفهوم السميولاركرا في فلسفة جيل دولوز

أ.د. محمد عبدالله الخالدي
كلية الآداب- جامعة بغداد

م.م. بشير خضير ذياب حسن الجميلي
كلية الآداب- جامعة بغداد

الكلمات المفتاحية: الفلسفة. السميولاكرا، جيل دولوز .

الملخص:

واكبَ مرحلة ما بعد الحداثة منذ نشأتها بشكل واضح في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين العديد من التحولات والتغيرات على صعيد المفاهيم والمعايير والقيم ، وفي ميدان علم الجمال تناولت كتابات ومؤلفات الفلاسفة ومنظري ما بعد الحداثة العديد من القضايا والمصطلحات والنظريات والمفاهيم الجديدة .

ويُعدُ مفهوم السميولاكرا Simulacre أحد هذه المفاهيم التي ارتبطت بعصر ما بعد الحداثة، حيث تناوله بالدراسة والتحليل مجموعة من فلاسفة ذلك العصر وبالأخص جيل دولوز ، فقد وضعَ مفهوم السميولاكرا في خطاب طويل ومعقد طوال تاريخ الفلسفة وبلغ ذروته مع طليعة الفكر النظري في الجزء الأخير من القرن العشرين في أعمال المنظرين حيث تضمنت كتاباتهم أراء مختلفة حول مفهوم السميولاكرا الذى بدا خفياً والأكثر ارتباطاً بعصر ما بعد الحداثة .

ومن ثم سنتوجه في بحثنا هذا الى العلاقة التي تربط مفهوم السميولاكرا بكتابات جيل دولوز وخصوصاً علاقته بالمفاهيم التي ابتدعها جيل دولوز ومنها الجذمور ، والاختلاف والتكرار ، حيثُ تُعتبرُ تلك المفاهيم العصب الرئيسي لكتابات جيل دولوز .

المقدمة :-

جيل دولوز (1925-1995) فيلسوف فرنسي كتب في الفلسفة والادب والافلام السينمائية والفنون الجميلة ، تأثر بشكل كبير في فلسفة " نيتشه " والدليل على ذلك متابعة دولوز للمقولات النيتشويه واعادة تفعيلها وتطبيقها على ظواهر

مختلفة ومن تلك المقولات مثلاً نفي وجود حقيقة متعالية ورفضه للتقسيم الافلاطوني للعالم الى ظاهري ومتعالي مما جعل دولوز يؤيد فكرة نيتشه بقلب الافلاطونية والتي سأتناولها بشكل وافي في بحثي هذا ، كما ان لدولوز تصور للعالم الذي تحكمه الصيرورة والعود الابدي والاختلاف والتكرار مستمدة بشكل كبير من فلسفة نيتشه ، اما في مجال الفن فدولوز يوافق نيتشه برايه الذي يعتبر أن الفن اشد قوة لخلق الزيف والسميولاكرا .

عند قراءتنا لنصوص دولوز الفلسفية نلاحظ انفتاحها على العديد من المجالات المعرفية حيث وصف الكثير من الفلاسفة والباحثين في المجال الفلسفي اعمال دولوز بانها شاملة لكونها مرتبطة ارتباط مباشر بالفن والعلم والجسد وعلم الاحياء وما يُفسر هذا هو حضور النص الأدبي بكل اشكاله في النص الفلسفي ما بعد الحداثي الى درجة ربما تفوق حضور النصوص الفلسفية.

يعد دولوز ان وظيفة الفلسفة الاساسية هي خلق المفاهيم ولا يمكن لأي معرفة أو نص أن ينوب عنها او يحل محلها في هذه الوظيفة لذلك سنلاحظ في الوريقات اللاحقة ابتداعه لكثير من المفاهيم والمصطلحات الفلسفية والتي لم تجدها عند فيلسوف قبله .

ان دولوز قارئ جيد لكثير من الفلاسفة حيث تناولت المرحلة الأولى من كتاباته تاريخ الفلسفة مروراً بتكوين صورة جديدة للفكر وبلغت كتاباته ذروتها في الاختلاف والتكرار، فمن باب الحرص الشديد حاول دولوز قراءة واعادة قراءة وتفكير فلاسفة غير تقليديين و استخدم مفاهيمهم ليخدم مفهوم العزم والجدة لديه ومن هذا المنطلق سعى الى مناقشة اعمال المؤلفين وتفسيرها او نقدها ان استوجب الأمر وذلك ليستكشف فيها ما هو مهم وجدير بالاهتمام وما هو بارز ، مرجحا بهذا بمجمله مقولات الجدة على التعابير التقليدية للحقيقي والمزيف وكان هدفه من هذا كله تمييز الاصالة الموضوعية عن التفاهة ومجرد التطابق مع القيم التي كانت سائدة .

من المفاهيم التي ابتدعها دولوز والتي لها علاقة كبيرة بالسميولاكرا هو مفهوم الجذمور الذي يعتبر سابقة لدولوز حيث ان مفهوم السميولاكرا يتطابق تماماً مع مفهوم الجذمور من ناحية الاصل فكلاهما يمثلان قطيعة مع الأصل ، وان مبدأ

القطيعة مع الأصل من اهم مبادئ الجذمور كون ان الجذمور حسب دولوز ليس له بداية كما انه لا يمتلك نهاية .

تناول دولوز وبشكل مستفيض موضوع السميولاكرا والذي عرفه بالمظهر الخداع (Simulacre) ، حيث ان دولوز قد استعار تعبير المظهر الخداع من نيتشه بهدف قلب الافلاطونية التي ارادت طرد المظهر الخداع لكونه يهدد نسق الامثول او المثل التي كان ينادي بها افلاطون ، ويكون قلب الأفلاطونية وذلك بتمجيد المظهر الخداع حيث اضاف دولوز الى هذا التمجيد نسقاً ثالثاً بعد ما كان ثنائي النسق (النموذج الاصلي - نسخته)، بينما اصبح على يد دولوز ثلاثي النسق (النموذج الاصلي - الايقونة . الصنم)، وحتى في موضوع الطموح فقد قسمه دولوز الى طامح جيد و طامح سيء، ومن الجدير بالذكر بأن جميع الموضوعات التي ذكرناها مسبقاً سنتناولها بشكل مستفيض في المباحث التالية .

المبحث الاول: السميولاكرا وعلاقته بالجذمور في فلسفة جيل دولوز :-

ان من اهم انجازات جيل دولوز بمشروعه الفلسفي هو جعل مهمة الفلسفة الاولى هي إبداع المفاهيم، محدثاً بذلك ثورة ابستمولوجية على العديد من الأصعدة والمجالات المعرفية، ومنها المجال الأدبي الذي أولاه مكانة خاصة ، ويمكن للقارئ الجيد أن يفهم كيف تعمل المفاهيم الدولوزية ، وترتحل من مجال إلى آخر، وهي في الأصل في طبيعة ارتحاليه، فالمفاهيم اللا استقرار واللا توطن أو اللا ارضنه ، ولعل مفهومي:- مسطح المحايثة والجذمور من أهم المفاهيم التي أبدعها جيل دولوز حتى عُرفَ بفيلسوف المفهوم ، لأنه أخرج الفلسفة من المنعرج النقدي إلى المنعرج المفهومي، وما يهمنا في هذا المقام مفهوم الجذمور او الجذمار (Rhizom) وهو نبات ينمو على السطح دون جذور في الارض ، وهذا الامر يجعلنا نربط مفهوم السميولاكرا مع مفهوم الجذمور وذلك لان السميولاكرا هو الصورة المزيفة للواقع والاصل والجذمور يتميز بالتخلي عن فكرة الاصل"[1] ، وان مبدأ القطيعة من اهم مبادئ الجذمور لكونه يُمثل قطيعة مع كل اصل ومع كل دلالة ، لكون الجذمور حسب دولوز ليس له بداية كما انه لا يمتلك نهاية"[2]

ان الاسلوب السائد والمتعارف عليه في كتابة اي نص فلسفي يبدأ على الاغلب بتحديد مشكلة البحث الذي يُعتبر موضوع البحث ثم التعامل معه بالمنهج او الاسلوب الذي يتبعه كل فيلسوف وصولاً الى النتائج التي تُعتبر عصارة التصور

الفلسفي للباحث في ذلك الموضوع ، هذه الكتابة يطلق عليها دولوز (الكتابة الشجرية) نسبةً الى الشجرة المكونة من جذر وساق وفروع واوراق وثمار ، فالمشكلة تقابل الجذر في الشجرة ، والفرضيات تقابل الساق والفروع والاوراق والتي تتشعب عبر التحليل الى قضايا متنوعة ، اما الثمار فتقابل النتائج التي يتوصل لها الفيلسوف في النهاية، هذه الطريقة هي الطريقة المتبعة في الكتابة الفلسفية عبر تاريخ العصور الفلسفية، وعوضاً عن هذا الاسلوب في الكتابة يدعو دولوز الى استخدام طريقة جديدة للكتابة وهي الطريقة الجذمورية"[3]

ان العقل الانساني حسب دولوز مليء بالأشجار ومنها شجرة التاريخ وشجرة المعرفة وشجرة الحياة وشجرة السلطة التي لها مركز ونواة ودوائر تدور حولها والتي تسعى تلك السلطة للمحافظة على استقرار وضعها وانتظام الدوائر التي تدور حولها ومن هنا يعلن دولوز بضرورة التخلص من الجذور والجذيرات التي سئمنا منها واحلال محلها الجذامير التي لا تلتزم بأي مركز يقيد حركتها"[4]

لقد ارتبط مفهوم الجذمور بمفاهيم اخرى متعددة طرحها دولوز ومنها التعددية والارتحال والصيرورة والسميولاكرا فكل هذه المفاهيم تشترك في النهاية بنفس الصفات كما سنوضحه لاحقاً ، فالجذمور هو نبات ينمو على سطح الارض من دون جذور يرتكز عليها في باطن الارض وهذا حال السميولاكرا الذي لا تربطه علاقة بالأصل، وان الجذمور ينمو على السطح بشكل افقي في مقابل الشجرة التي تنمو بشكل عامودي، الجذمور يخلو تماماً من العمق ويرفض الماورائيات والسميولاكرا كذلك يمتاز بابتعاده عن جوهر الاشياء لكونه نسخة عن نسخة ، ان الجذمور اشبه بالشبكة لذلك يطلق عليها دولوز شبكة الجذمور ، فلا يمكننا ان نحدد بداية او نهاية للشبكة فكل حلقة مرتبطة بالأخرى ، لذلك فأي بداية لها تكون من المحتمل بداية من الوسط او المنتصف او الطرف ، فنقطة البداية هنا هي نقطة جذمورية وهذه النقطة تكون متصلة ومنفصلة في نفس الوقت ، لكن هذا الانفصال الذي يتميز به الجذمور لا يمثل القطيعة"[5]

ان التفكير الجذموري لا يعرف الثبات او الاستقرار بل انه يعرف الصحراوية والارتحال ، فالجذمور يمثل صورة العالم الذي لا يحكمه قانون انه نموذج متعدد المراكز والنقاط خطوط الالتقاء فيه هي نفسها خطوط التنافر والافلات ، لذلك نلاحظ ان الجذمور يتكاثر بين الاشياء متطفلاً في عيشه عليها ولكنه في نفس الوقت

يملأ الفراغات والفجوات لهذا نلاحظ بأن دولوز لا يستبعده من فلسفته ويعتبره جزء مهم في كافة مجالات الحياة، وذلك لان كل نهاية فيه تُمثل بداية جديدة"[6]

ان الكتابة الدولوزية لا تسير على النموذج الخطي المتسلسل والمتعارف عليه انما تسيرُ وفق نموذج الشبكة متعددة المراكز ، ولذلك يظهر لنا جلياً بأن كتاباته عبارة عن صورة جذمورية ضد الصورة الشجرية في الكتابة وذلك من خلال ممارسة الكتابة كتعددية وصيرورة بدلاً من ممارستها كبنية مغلقة ، كتابة هي ليست رصداً او تتبعاً للأحداث ولا تأملاً او انعكاساً بل انها كتابة تتميزُ بالانبثاق والاقتباس والخيانة وقلب المفاهيم السائدة وكل هذا مرتبط بشكل كبير بالمفهوم الذي ابتدعه وهو مفهوم الجذمور "يرتبط مفهوم الجذمور عند دولوز بمفاهيم اخرى عديدة كالصيرورة والارتحال ، التوطين وإعادة التوطين ، كما يرتبط ايضاً بمشروعه الفلسفي الذي يُطلق عليه قلب الافلاطونية"[7]

ان قلب الافلاطونية معناه اعطاء الحق للنسخ والاعتراف بحقها لكون تلك النسخ تمتلك قوة ايجابية تنفي الاصل والنسخة والنموذج والاستنساخ على العكس تماماً من رأي افلاطون الذي ميزَ بين الجوهر والمظهر او بين النموذج والنسخة في عالم المُثل ، حيثُ ان الشبه في فلسفة دولوز اصبحَ يدلُ على قوة توليد جديدة"[8] ، ان الدافع الافلاطوني في نظرية المُثل يتعلقُ بالتمييز بين الشيء ذاته وصوره، بين الاصل والنسخة ، بين النموذج والسميولاكرا ، وهو ذات التمييز بين الماهية والمظهر، بين المعقول والمحسوس ، بين المثال والصورة، حيثُ يُقسم افلاطون تلك النماذج الى نوعين :- الاول الايقونات التي تكون على صلة مباشرة بالأصل وهي صورة حقيقية، اما النوع الثاني فهي السميولاكرات التي تقوم على اللا تشابه والابتعاد عن الاصل فهي صور مشوشة وعبارة عن نسخة من نسخة ، حيثُ اعتبرَ افلاطون الايقونات نسخ جيدة اما النوع الثاني نسخ رديئة يجب ضبطها وتوثيقها بالقيود لكي لا تطفو على السطح لتفرض نفسها وتحل محل الحقيقة "بإمكاننا تحديد الدافع الافلاطوني في مجموعهُ وذلك من خلال التمييز بين النسخ الجيدة (الايقونات) والنسخ الرديئة (السميولاكرات) او بالأولى بين النسخ القائمة على اساس وبين السميولاكرات الساقطة في هاوية اللا تشابه ، ويتعلق الامر بضمان انتصار النسخ على السميولاكرات وقمع هاته الاخيرة وضبطها وطمسها وتركها تحت القيود والحيلولة بينها وبين ان تطفو على السطح لتفرض نفسها في كل الانحاء"[9]

من الدواعي المهمة التي جعلت دولوز يسعى الى قلب الافلاطونية هو ان السميولاكرا لدى افلاطون عبارة عن صورة شيطانية لأنها تخلق تشابه خداع، صورة تهدد فكرة الاستنساخ لكونها تكون بعيدة عن الاصل ولهذا تكون هذه الصورة منبوذة عند افلاطون ، لهذا السبب جاء دولوز ليثبت نقيض ذلك تماماً واقرَ بأن السميولاكرا هو ما يحرر الاختلافات وهو الذي سيجبر الوعي على التفكير في الاختلاف ذاته بعيداً عن كل ضدية او ندية وان السميولاكرا هو اختلاف من الدرجة الثانية وهو القادر على تصوير الاختلاف والتكرار المركب لكونه الوحيد الذي بإمكانه رد المختلف الى المختلف من خلال الاختلاف نفسه ، ولهذا فهو ليس صورة شيطانية او مشوشة كما ادعى افلاطون ، بل هو قوة ايجابية تتجاوز ثنائية الاصل والنسخة"[10]"

اننا اذا اكتفينا بالقول بأن السميولاكرا نسخة عن نسخة وانه نسخة متدهورة فإننا سنظل بعيدين عن الصواب ولن نُدرك الاختلاف الطبيعي بين الايقونة والسميولاكرا، لكونهما يشكلان نصفي قسمة، فالأيقونة نسخة تتمتع بالشبه، اما السميولاكرا فهو نسخة بلا تشابه، وفي هذا الصدد يمكننا ذكر مثال يوضح ذلك وهو ان العقيدة المسيحية التي بقيت افكارها مرتبطة بالأفلاطونية ولم تبتعد عنها جعلتنا نربط مفهوم العقيدة المسيحية مع هذا المفهوم الافلاطوني وهي ان الخالق قد صَورَ الانسان على نفس صورته وشبهه، لكن الانسان بفعل الخطيئة فقدَ ذلك الشبه وبقى محتفظاً بالصورة الالهية، فالصورة هنا تُمثل الايقونة ، والشبه اصبح يُمثل السميولاكرا "لقد جعلتنا العقيدة المسيحية التي طالما استلهمت الافلاطونية جعلتنا في الفة مع هذا المفهوم : ان الاله خلقَ الانسان على صورته وشبهه لكن الانسان بفعل الخطيئة فقدَ الشبه محتفظاً بالصورة ، انه غدا سميولاكرا وفقدَ الوجود الاخلاقي"[11]"

ان معنى قلب الافلاطونية لدى دولوز هو تمجيد للمظهر الخداع الذي طرده افلاطون وقد استعار دولوز هذا التعبير من نيتشه"[12]"، لذلك جاء دولوز معلناً غايته العظمى لقلب الافلاطونية فألغى المثال ليحل محله النسخة، والغى معيارية المُثل في التمييز بين النسخ ، ومن الجدير بالذكر ان قلب الافلاطونية لا يعني انتصاراً للسميولاكرا ضد الايقونات بل هو ضرب لمبدأ التطابق والشبه لأجل اثبات اختلاف لا مبدأ له ، وذلك بالنظر الى الاختلافات والتكرار داخل منطق الهوية ، وبهذا انتصر

دولـوز للظـاهر وسـطح الاشـياء او مـا تبـدوا عليـه ضـد مـا قـال بـه افلاطـون الـذي ميزَ بـين عـالم المُثـل وعـالم المحسوسـات ، وافضـل مثـال يضـربه لنـا دولـوز لإثبـات صـحة رأيـه هـو صـورة البرق الـذي يلمـع في سـواد الليـل الحالـك ، فلمعـان البرق يُعتبر سـميولاكرا اذا ما اعتبرنا ان صورة الليل الاصلية هي السواد"[13]

ان احـدى مهـام الفلسـفة في زمننـا المعاصـر حسـب دولـوز هي الاعـلاء مـن قيمـة السـلب في الفكـر ، الجـذمور او العشـب ضـد الاشـجار ، الخـط ضـد النقطـة ، ولحـل اشـكالية الثنائيـات حسـب دولـوز لابـد مـن احـداث ثـورة في مجـال اللغـة وان نناضـل ضـد تلـك الثنائيـات، ويتمثـل نضـالنا بابتكارنـا طرقـاً مختلفـة في التعبيـر ، وبمـا ان مـوطن الثنائيـات تلـك هـو اللغـة فقـد اصـبحنا ملـزمين بإحـداث ثـورة في اللغـة مـن خـلال احـلال حـرف العطـف (واو) محـل (او) واضـافة ثـاني الى ثالـث ، وثالـث الى رابـع ...الـخ ، حسـب مفهـوم الجـذمور الـذي يتميـزُ بالتعدديـة والانتشـار "ان اللغـة مؤسسـة في عمقهـا على التقسـيمات الثنائيـة : مـذكر/ مؤنـث ، مفـرد / جمـع ، تركيـب اسـمي/ تركيـب فعلي، وهكـذا نظرنـا الى الشـيء ونقيضـه ينطلـق مـن داخـل اللغـة ، اذاً ينبغي تحرير اللغة من منطق المتعارضات الثنائية"[14]

ان مفهـوم الجـذمور اشـبه بالتيـه الـذي لا تعـرف لـه بدايـة او نهايـة ولكـن قـوة الجـذمور تكمـن في قدرتـه عـل الحفـاظ على تنظيمـات متعـددة بشـكل متجـاور وآنـي ، وافضـل مثـال على مـا تقـدم يكمـن في التطـور العمرانـي المعاصـر الـذي يشـير الى اللامركزيـة والـلا تحـدد كمـا هـو حـال الجـذمور ، ومـن ابـرز الامثلـة على ذلـك التطـور العمرانـي لمدينـة بورتمـان في لنـدن "ان مدينـة بورتمـان صُـممت بطريقـة لا يمكـن للنـاظر الهـا ان يـرى اي مـدخل لهـا ، فهي اشـبه بالتيـه الـذي يصـعب تحديـد نقطـة بداية او نهاية له"[15]

لقـد احتـل مفهـوم الجـذمور مكانـة هامـة في فلسـفة جيـل دولـوز الى درجـة تفـوق اي مفهـوم آخـر اذ انـه لـيس مصـطلحاً فقـط يكـرس مبـدأ التعدديـة والاخـتلاف بـل لكونـه اسـلوباً او طريقـة في التفكير والكتابـة بـل وحتى الوجـود في العـالم، ممـا ادى الى الكثير مـن البـاحثين الاهتمـام بمصـطلح الجـذمور وتناولـه كـأداة مهمـة لموضـوعاتهم وفي كافـة مجـالات الحيـاة ، فقـد قـام احـد البـاحثين بعمـل مقارنـة بـين وصـف دولـوز للجـذمور والطريقـة التي يعمـل بهـا فيروس الايـدز في جسـم الانسـان، لما لهـذا الفيروس

من قدرة على المسار بطريقة لا يمكن التنبؤ بها ، لأنه ليس ثمة مسار يحكمه، كما انه يجيد لعبة التخفي والتطور بصورة متلاحقة كما هو حال الجذمور"[16]

على الرغم من ان الجذمور مصطلح يُستخدم في عالم النبات ليصف نوعاً من انواع النباتات التي تنمو على سطح الارض دون العمق في التربة الا ان دولوز استخدمه في العديد من مؤلفاته ليصف به اسلوباً جديداً مبتكراً للكتابة ، فقد استخدمه في اغلب مؤلفاته ومنها كتاب (الف ربوة) الذي اخذ صيتاً عالياً، وارتبط مفهوم الجذمور فيما بعد بمفاهيم اخرى طرحها دولوز كالتعددية والترحال والصيرورة ومسطح المحايثة وكذلك ارتبط بالسميولاكرا الذي اوضحناه سلفاً"[17]

بعد ان عرفنا ماذا يقصد دولوز بمفهوم الجذمور وعرفنا الاهمية التي اولاها له في كتاباته لابد من ان نبين الآن خصائص الجذمور وهي كالاتي :-

1- خاصية التباين :- يتخذ الجذمور اشكالاً شديدة التباين وهذه الميزة هي ميزة مغروسة في ذاته لكونه ينتشر بشكل سطحي متفرع والى مختلف الاتجاهات ومن الامثلة التي يذكرها دولوز هو العشب الذي ينمو بشكل كبير بين النباتات التي زُرعت بفعل الانسان ، فهذا العشب ينمو من تلقاء نفسه ومن دون تدخل غيره في انباته وزراعته ولديه سرعة رهيبة في الانتشار "يتخذُ الجذمور في ذاته اشكالاً شديدة التباين ابتداء من انتشاره السطحي المتفرع صوب مختلف الجهات"[18]

2- ميزة الارتباط والتغاير:- ان للجذمور امكانية ايصال اي نقطة مع نقطة اخرى على عكس الشجرة او الجذور اللذان لديهما نقطة ونظام ثابت وهذا الامر ينطبق على الشجرة اللسانية التي لا يمكنها الانشطار والمغايرة، فالمفرد في الشجرة اللسانية عند اللغويين لا يرتبط الا بالمفرد، والمذكر لا يرتبط معه الا المذكر في الكلمات ، بينما الجذمور يمكن ان يتحول من الواحد الى الثاني ، ومن المذكر الى المؤنث لكونه لا يرتبط بقانون ثابت، بل انه مرتبط بأنماط شديدة الاختلاف ، وهذه الانماط عبارة عن سلاسل بيلوجية وسياسية واقتصادية .... الخ ، وهذا الامر لا نجده في نظام الشجرة او الجذر فلا يمكننا الفصل بين نظام العلامات وبين موضوعاتها " ان الشجرة او الجذر يثبتان بنقطة او نظاماً، حيثُ تبدأ الشجرة اللسانية عند شومسكي عند النقطة ، ثم تعمل وفق تقسيم ثنائي، اما الجذمور فهو على العكس تماماً لان كل سمة لا تحيلُ فيه بالضرورة على سمة لغوية : سلاسل دلالية من اصناف مختلفة توصل فيه مع انماط من التشفير

شـديدة الاخـتلاف ، وهـي سلاسـل بيولوجيـة وسياسـية واقتصـادية ...الـخ ، رابطـة بين مناطق من علامات متباينة، بل كذلك من اوضاع راهنة"[19]

3- خاصـية التعدديـة : ان الجـذمور لا تكـون لـه اي علاقـة مـع الواحـد كـذات او موضـوع بـل ان واقعـه الطبيعي والفكـري هـو التعـدديات وبالتـالي فهـو يفضح اشـباه التعـدديات الشـجرية ، وكـذلك لا تكـون فـي الجـذمور وحـدة تعمـل كمحـور فـي الموضـوع وتتجـزأ في الـذات لان التعدديـة لـيس لهـا موضـوع ولا ذات "ان التعـدديات جذموريـة ، لا تكـون هنـاك وحـدة تغمـل كمحـور في الموضـوع وتتجـزأ في الـذات ، مـا مـن وحـدة حتـى وجـدت لـتجهض الموضـوع ولتعـاود الظهـور فـي الـذات ، لـيسَ للتعددية موضوع ولا ذات ومقادير"[20]

4- خاصـية القطيعـة التي لا علاقـة لهـا بالدلالـة : يضـرب لنـا دولـوز مثـالاً ليوضـح لنـا هـذه الخاصـية وهـو النمـل حيـثُ يمثـل النمـل جـذموراً حيوانيـاً والـذي لا يمكننـا ان نعثـر عـل اي نهايـة معـه فمهمـا تحطـم جزئـه الكبيـر لـن يكـف النمـل عـن معـاودة التشـكل ، وكـذلك الجـذمور الـذي يقـوم ضـد القطيعـة المفرطـة في الدلالـة التي تفصـلُ البنيـات عـن بعضـها او التي تختـرق احـداهما ، حيـثُ يمكـن للجـذمور ان يُصـيبَ بالتصـدع وينقطـع في مكـان مـا، لكنـه يواصـل سـيره في اتجاهـات اخـرى "يمكـن للجـذمور ان يُفصـم، ان يتصـدع في موضـع بعينـه، الا انـه يواصـل في اتجـاه هـذا الخـط او ذاك وفي اتجـاه خطـوط اخـرى ، لا نـأتي مـع النمـل على نهايـة لأنهـا تُشـكل جـذموراً حيوانيـاً يمكـن لجزئـه الكبيـر ان يُحطـم مـن غيـر ان يكـف هـو عـن معاودة التشكل"[21]

5- خاصـية الخرائطيـة وهـوس الاستنسـاخ : ان هـذه الخاصـية قـد اخـذها دولـوز مـن الخارطـة ولهـذا قـد شـبه الجـذمور بالخارطـة وذلـك لأننـا نمتلـك امكانيـة تمزيـق الخارطـة او قلبهـا رأسـاً على عقـب ، كمـا يمكـن للخارطـة ان تتكيـف مـع التركيبـات على اخـتلاف طبيعتهـا ويمكنهـا ان تُشـغل مـن قبـل فـود او فريـق كبيـر، وبإمكاننـا ان نرسـم الخارطـة على الجـدار او على الـورق فهي قابلـة للتفكيـك والقلـب والتعـديل الـدائم كـذلك الجـذمور حيـث انـه يتمثـل في كونـه متعـدد المـداخل والمخـارج على الـدوام ومـن هنـا ربـطَ دولـوز الجـذمور بالخارطـة خلافـاً للنسـخ الـذي يعـود دائمـاً الى الشـيء نفسـه، ولكـن في هـذا المضـمار يتسـاءل دولـوز : الـيس بإمكاننـا استنسـاخ الخريطـة فيجيـب بـنعم، ولكـن في هـذه الحالـة تقـوم النسـخة بترجمـة الخارطـة على

شكل صورة مما سيجعلها اداة تحويل الجذمور الى جذور راسخة مما يؤدي الى القضاء على الجذمور لان سمة الاخير عدم الثبات "هذا هو الجذمور انه خارطة وليس نسخة، فلنمارس الخرائطية وليس النسخ، واذا كانت الخارطة تُضادُ النسخ فلأنها متجهة بكاملها الى تجريب مشدود بالواقع، لا تعيدُ الخارطة انتاج لا شعور مغلق في ذاته بل انها تبنيه بناء ، انها تساهم في ربط الحقول فيما بينها"[22]

المبحث الثاني: السميولاكرا بين الاختلاف والتكرار في فلسفة جيل دولوز :-

لقد وجه دولوز - باعتباره أحد فلاسفة الاختلاف نقدا للصورة التقليدية للفكر في كتابه الاختلاف التكرار، و ذلك من خلال نقد المسلمات التي تنهض عليها هذه الصورة ، فلقد سعى للبحث عن صورة جديدة للفكر تعتمدُ على الاختلاف الذي يخلص الفكر الفلسفي من كل العلاق سواء كان منهجي او نسقي او مذهبي ، لصالح المتعدد و الفريد والمتكرر ... إلخ بصورة جديدة تعتمد على فلسفة التجربة المتعالية و الجذمور و الترحال والسميولاكرا الذي يُعرفه دولوز بأنه المظهر الخداع للأشياء"[23] ، و هو ما فتح أمامه أفاقا لتجريب فلسفته الخاصة بالمحايثة والتعدد في ميادين جديدة مثلت الخارج بالنسبة له ، و إبداع و حرث المفهوم في مناطق جديدة لم يمر او يتطرق احد من الفلاسفة لها ، هذه المسالك هي التي رسمت إحداثيات الصورة الجديدة للفكر لدى دولوز في منهجه الجديد في الفلسفة و هذا ما أحدث تغييرا في طبيعة النسق الفلسفي وهو ما يسميه فلسفة النسق المفتوح و النسق المتعدد"[24]

ان ما يهمنا في هذا المبحث هو علاقة السميولاكرا بالاختلاف والتكرار لدى جيل دولوز وقبل ان ابين هذه العلاقة لابد من ان نبين ما هو الاختلاف والتكرار الذي تناوله جيل دولوز في اغلب كتاباته الفلسفية، حيثُ يُعدُ الاختلاف ميزة كونية وسنة من سنن هذا الكون الذي نعيشه ونُقيمُ فيه وقد تبدو سمة الاختلاف متواجدة في الواقع وشاملة لكل مكونات الوجود، مثلا نجد اختلافات بين الفصول الأربعة واختلاف ألوان البشر وأجناسهم، اختلاف الحيوانات والنباتات، اختلاف الليل والنهار، اختلاف الكواكب وأخيرا اختلاف الأفكار، الآراء، المعتقدات والتوجهات، "إن الاختلاف لغةً : هو مصدر لفعل اختلف ويعارض فعل اتفق ، وقد يُقال تخالف القوم واختلفوا أي أن كل واحد ذهب إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، ويُقال أيضا

تخالف الأمران واختلف فهما لم يتفقا ، ويتضح لنا في هذا المعنى أن الاختلاف يحيل إلى التباين، التضاد، عدم التساوي، المخالفة والتمايز، اما اصطلاحاً فيحيل الاختلاف الى التناقض في وجهة النظر او موقف ورأي بين شخص او عدة اشخاص وقد يظهر ذلك من خلال كثرة المذاهب والتصورات الفكرية والفلسفية والسياسية"[25]

اما الاختلاف الذي يعنيه دولوز هو فعل توليد الفوارق والاختلافات ليس على اساس التضاد او التعارض فلا وجود لتعارض الهويات في فلسفة جيل دولوز، بل ان الاختلاف الذي يقصده هو بناء صناعي يجعل الشيء يختلف بذاته ومع ذاته وليسَ مع شيء آخر ، ومثال ذلك كما يذكره دولوز البرق الذي يشقُ الظلام في الليل، وبهذا المعنى سيكون الاختلاف مزدوج الاول مختلف في الذات ويسمي دولوز هذا النوع اختلاف شدة، فيسميه اختلاف شدة حسب درجته ، اما النوع الثاني من الاختلاف فهو الاختلاف مع الذات ويسميه دولوز التكرار الذي ينشأ ويتقوم بالعود الابدي ، وبالتالي فلا مكان للتضاد او التعارض بل هو اختلاف وتكرار مع الذات وفي الذات "ان ما يختلف هو ما يختلف بذاته ومع ذاته وليس مع شيء آخر تماماً كما صورة البرق الذي يشق الظلام في الليل"[26]

ان الاختلاف الذي يعنيه دولوز هو اختلاف شدة ، فالاختلاف يكمن في شدة التفاوت في الدرجات، والشدة في هذا المعنى تصبح علة او اساس كل ما هو مُعطى، ويضرب لنا دولوز مثالاً عن الشدة في الحرارة والرطوبة والضغط ، فالاختلاف سيكون في هذه الامثلة معتمداً على الشدة فأما ان يكون مضاعفاً الى ما لنهاية او ان يكون اقل شدة، ويستند دولوز الى الرياضيات لأثبات شدة هذا الاختلاف " كل اختلاف هو اختلاف شدة، اي ان كل اختلاف ما يوجد هو اختلاف متفاوت في الحرارة والرطوبة والضغط، وبغاية اثبات اولوية الاختلاف هاته من حيث هو شدة يستند دولوز الى الرياضيات"[27]

يتحدد الاختلاف عند دولوز في السميولاكرا لان الاختلاف في الحقيقة هو اختلاف سميولاكرات ، ويعود اصل هذا المفهوم الى افلاطون الذي ميزَ اخلاقياً بين الاصل والنسخة وميزَ بين الايقونة التي اعتبرها نسخة حسنة لا تخون الاصل وبين السميولاكرا الذي هو بمثابة نسخة ثانية تشوه الاصل، لذلك اعتبر افلاطون السميولاكرا نسخة سيئة، وقال بأن الايقونة نقيضاً للسميولاكرا، حيثُ ان جهد

افلاطون كان منصباً على التمييز بين هذين النوعيين من النسخ، فرفع لواء انتصار الايقونات التي تحمل التشابه الداخلي مع الاصل ضد النوع الثاني من النسخ وهي السميولاكرا التي تمتلك اختلافات تفقدُ صلتها بالأصل بل اعتبرها نسخ مشوهة للأصل ، لذلك جاء دولوز معلناً غايته العظمى لقلب الافلاطونية، فألغى معيارية المثُل في التمييز بين النسخ واحل محلها فلسفة الاختلاف"[28]

ان افلاطون لا يُميزُ بين الاصل والنسخة ولا يعارض بينهما الا للحصول على مقياس انتقائي مهم وهو التمييز بين النسخ الجيدة والتي اسماها النموذج ، وبين النسخ الرديئة التي يعتبرها مظاهر خادعة سميولاكرات ، اذن الآمر متعلق بتمييز المظاهر الساطعة المؤسسة جيداً بالأضافة الى تمييز مظاهر اخرى خبيثة وملعونة لا تحترم الاساس ولا المؤسس، لذلك جاء دولوز واقرَ بضرورة احلال فلسفة الاختلاف لأنه لا يمكن تمييز النسخ الجيدة عن المظهر الخداع الا بإخضاع هيئة الشيء نفسه الى الاختلاف لتمييز الاصلي والمشتق، المبتكر والتابع، الاساس والمؤسس، والاختلاف الذي دعا اليه دولوز هو ذلك الاختلاف الذي يُنعش التراتبيات بين هذه الثنائيات ويمدد التكاملية بين النموذج والنسخة " الامر يتعلق بتمييز المظاهر الأبولونية الساطعة المؤسسة جيداً، بالأضافة الى تمييز مظاهر اخر خبيثة وملعونة ونافذة، لا تحترم الاساس ولا المؤسس ، وتؤدي هذه الارادة الافلاطونية بتعزيم المظهر الخداع الى خضوع الاختلاف"[29]

يعطينا دولوز مثالاً عن الاختلاف الذي يعنيه وهو بأن الناس الذين يطمحون بأن يكونوا شجعاناً او ان يكونوا فاضلين ستكون تلك الصفات لديهم كمظهر خارجي فقط ، لأن تلك السمة ليست موجودة في طبائعهم بالأساس مما يُولد لديهم اختلاف المظهر عن الجوهر ، اي ان تلك الصفة التي يسعون او يطمحون ان يوسمون بها هي ليست لديهم بالطبع والعادة، مما يُولد لنا مظاهر خداعة ، ويصف دولوز اولك الناس بأنهم طامحون زائفون "[30]

يُعرف جيل دولوز المظهر الخداع بأنه النسق الذي يُنسب فيه المختلف الى المختلف بواسطة الاختلاف نفسه، ويذكر اهم مميزات المظهر الخداع بأنها تتميز بالتباعد والازاحة عن المركز ، ويتلاقى فيه كل اشكال السلاسل المختلفة والتي لا تمتلك اي سلسلة منها اي شيء يميزها عن الاخرى ،ولا تشابه اي نسخة من تلك السلاسل نسخة اخرى ، وفي نفس الوقت لا تتعارض اي سلسلة مع الاخرى ولا

تتماثل معها، حيثُ تتكون كل سلسلة من اختلافات وتتواصل كل سلسلة مع الاخرى عن طريق الاختلافات ليس الا، وتحل الفوضويات محل تراتبيات التمثل، كما وتحل التوزيعات البدوية محل التوزيعات الحضرية للتمثل"[31]

ان معنى الاختلاف عند دولوز هو تخليص الفكر بشكل عام من كل انغلاق منهجي ونسقي وتخليص الفكر من الواحد لصالح المتعدد وذلك لإنتاج صورة جديدة للفكر ، يقود ذلك الانتاج الجديد التفكير من خلال هذه الصورة الجديدة الى اكتشاف امكانات جديدة للحياة وانماط الوجود ، وهذه الصورة الجديدة التي ينتجها الاختلاف تتميز بالتخلي عن المركز والاصل"[32]

تطرق جيل دولوز الى معنى التمثل او التصنع وربطه بشكل رائع بالاختلاف، حيثُ ان معنى التمثل عند دولوز هو وضع المفاهيم الفلسفية لتصبح الفلسفة تفكيراً مضاعفاً، ويذكر دولوز اهم مقولات التمثل وهي"[33] :-

1- العمق الحيز(spatium)حيثُ تُنظم الكثافات .
2- السلاسل المتباين التي تشكلها .
3- السباق القاتم الذي يقيم بين السلاسل تواصلاً .
4- الاقترانات الداخلية للأشياء .
5- تكوين الذوات اليرقانية في النسق الفلسفي .
6- الكيفيات التي تشكل التخالف المزدوج للنسق الفلسفي .
7- مراكز التغليف التي تضمن بقاء هذه العوامل في العالم المطور للكيفيات .

ان دولوز رأى بأن العالم الحديث هو عالم المظاهر الخداعة (simulacres) عالم لا يبقى الإنسان مع المُثل كما لا تبقى هوية الذات الفاعلة مع هوية الجوهر، وليس كل الهويات سوى مصطنعة نتجت بوصفها أثرا بصريا عن لعبة الاختلاف والتكرار، لأجل هذا يريد دولوز أن يرصد لعبة الاختلاف والتكرار التي تعمل وراء كل ستار هووي مهما كانت الطرق التي يلجأ اليها التمثيل نفسه أي للانتصار الذي يلجأ إليه ، وهو انتصار مصطنع على تكثره العميق حيث تنزع كل هوية إلى حصر اختلافها مع نفسها داخل السلبي (negatif) الذي يمكن دائما التخلص منه بواسطة نوع من التطابق أو التماهي، غير أن ما يوجد في العالم الحديث أمر يقوم أساسا على أنماط متكاثرة من التكرارات والاختلافات خارجنا وفينا وبالتالي فإن الدور الذي تمثله الحياة هو جعل كل تكرار يتعايش مع تكرار أخر في جو الاختلاف الذي لا يمكن لأي

مكـر هـووي أن يروضـه، ذلـك لان الاخـتلاف يتطلـب دومـا المقارنـة باعتبـاره قاعـدة تكشـف الاسـتثنائية، وعنـدما تـتم ممارسـة الاخـتلاف كمـا يوضـح لنـا دولـوز فإنـه لا ينبغي أن يمـارس بوصـفه نوعـا مـن الهويـة المفقـودة أو المنفيـة أو المتناقضـة مـع نفسـها ، وإنمـا يجـب أن يكـون التفكيـر في الاخـتلاف في ذاتـه وهـو اخـتلاف محـض ولـيس بالنسـبة إلى هويـة مـا ، لأن كـل اخـتلاف يواصـل الخضـوع المنطـق هويـة مـا لا يمكـن أن يعتبـر اختلافـا وإنمـا نوعـا متنكـراً مـن السـلب ويـذكر لنـا دولـوز اربعـة قواعـد مسـطرة للفكـر يخضـع الاخـتلاف مـن خلالهـا للتمثـل وتمنعـه مـن أن يفكـر وفـق الاخـتلاف وهي: الهويـة في المفهـوم ، التعـارض في المحمـول ، التماثـل في الحكـم ، التشـابه في الإدراك، غيـر أنـه في مقابـل ذلـك يطـرح دولـوز مفهومـا خاصـا بـالاختلاف قـابلا لأن يفكـر في ذاتـه إن الاخـتلاف كمـا يشـرحه لنـا دولـوز لا يخضـع للنفـي ولا يقـوم على التنـاقض وبالتـالي لا يجوز لأي جدلية الادعاء بأن لها القدرة على أن تتجاوزه"[34]

بعـد مـا عرفنـا مـا هـو الاخـتلاف ومـاذا يقصـد بـه دولـوز ومـا علاقتـه بالسـميولاكرا توجـب علينـا ان نعـرف مـا هـو التكـرار ومـاذا يقصـد بـه دولـوز ويجـب علينـا ان نبـين علاقتـه بالسـميولاكرا ، فـالتكرار لغـةً هـو مـا تكـرر فيـه اللفـظ دون اخـتلاف في المعنى، امـا التكـرار الـذي يعنيـه دولـوز هـو التكـرار الـذي يتحـدد في التمثـل باعتبـاره انتاجـاً لنسـخة عـن الهويـة، وبهـذا فهـو غيـاب للاخـتلاف وتسـاو بـين العناصـر ، فكـل تكـرار هـو عبارة عن تمثل وتشابه مع المفهوم ، فما يتكرر هو الشيء نفسه"[35]

ان التكـرار الـذي يعنيـه دولـوز اشـبه بـالمعجزة وذلـك لأننـا تعودنـا في تصـوراتنا ان التكـرار نقـيض للاخـتلاف فـلا يتكـرر الا مـا يتشـابه، امـا التكـرار عنـد جيـل دولـوز على العكـس تمامـاً وقـد اسـتند على قـوانين العـود الابـدي التي تـنص على ان اي عـود هـو عـود لمـا هـو مختلـف فقـط ولا يتكـرر الا مـا هـو متخـالف، لهـذا فـالتكرار هـو اقـوى صـورة تُجسـد فعـل الاخـتلاف ، فـالتكرار منـزاح عـن هويتـه دائمـاً، اي انـه في وضـع ومسـتوى آخـر دائمـاً، وان التكـرار هـو الـذي يـربط بـين المختلـف والمتباعـد حسـب وجهـة نظـر دولـوز " انـه مـا يـربط بـين المختلفـات والمتباعـدات ، ولهـذا فهـو الاخـتلاف بالمسـافة، امـا التشـابه فلـيس الا مفعولـه السـطحي، اي هـو فقـط مـا يـتمكن منطـق الهويـة والتمثل في ادراكه من اوليات التكرار"[36]

التكـرار هـو لـيس تشـابه خارجيـاً مـع الموضـوع وانمـا هـو تشـابه داخلي مـع الاسـاس ذاتـه، اي يجـب التشـابه مـع الاب للحصـول على الابـن، ومثـال ذلـك هنـاك انـاس

طامحون بأن يمتلكوا الخصال الحميدة والنبيلة وهذا هو الاساس، ولكن ليس بالضرورة ان يتصفوا بتلك الصفات او ان يتصف الابن بصفات ابيه الذي يمتلك تلك الصفات وان حاول ذلك هذا من جهة، ومن جهة اخرى ان الاختلاف يُصنع بين الطامحين انفسهم لذلك سيؤسس الى عالم التمثل الذي يحتوي على المظاهر الخداعة لكونها تتشابه فقط من الخارج لان ماهية الشيء ال (هو ، هو) تُعتبر هي الاساس ، ويمثل الطموح الاختلاف، ويسمى الطامح متشابه مع عينه اي الشيء نفسه ، وهناك طامحون ثالثاً ورابعاً وخامساً ، لهذا يُصنعُ الاختلاف بين الطامحين انفسهم"[37]

حسب تعبير دولوز حلت لعبة الاختلاف والتكرار محل لعبة العينه (هو،هو) ويضرب لنا مثال على ذلك هو عندما نقذف حجر زهرة النرد الى السماء تتقلب الارقام في الهواء ومن ثم ترجع الى الارض وتظهر لنا ارقام جديدة او متكررة ، وسيكون لدينا في نفس الوقت طاولتين الاولى في الهواء والثانية في الارض ، وبهذا المثال المبسط سيظهر لنا جلياً الاختلاف والتكرار ، الاختلاف بين الطاولتين وتكرار الارقام "حلت لعبة الاختلاف والتكرار محل لعبة ال (عينه) والتمثل ، يُقذف زهر النرد الى السماء بكل قوة كالبروق ، مشكلة في السماء كوكبات ، وتقفز مجدداً على الارض"[38]

ان الاختلاف يسطح وينمو بين تكرارين : الاول التكرار السطحي للسمات الخارجية للشيء والتي تكون ظاهرة للعيان ومتطابقة ، ولكن الاختلاف يدغمها بصورة غير مباشرة ، اما التكرار الثاني فهو التكرار العميق للشموليات والسمات الداخلية للتاريخ الماضي للشيء والذي يكون متغير دوماً بفعل الاختلاف الناتج وهذا يكون اكثر ادغاماً " ها هو الاختلاف ذاته بين تكرارين : بين التكرار السطحي للعناصر الخارجية المتطابقة والفورية التي يدغمها ، والتكرار العميق للشموليات الداخلية لماضٍ متغير دوماً"[39] ، ويفرق دولوز بين التكرارين حيث يسمي التكرار الاول ال(عينه) والتكرار الثاني يسميه تكرار المختلف ، ويبين دولوز عدة اختلافات بين التكرارين فالأول سلبي وبالنقص ، والآخر ايجابي وبالإفراط، الاول تكرار العناصر والحالات والمرات ، تكرار الاجزاء الخارجية ، والثاني تكرار الشموليات، الاول متتابع في الواقع، والثاني تكرار التعايش قانوناً، الاول ساكن والثاني دينامي، الاول تكرار المادي صدق والثاني اشتدادي ، الاول عادي والثاني بارز ، الاول افقي والثاني عامودي، الاول

مطـور ويجـب ان يفسـر والثـاني مغلـق يجـب شـرحه ، الاول تكـرار مسـاواة وتنـاظر والثـاني تكـرار اللامسـاواة ، الاول تكـرار الدقـة والثـاني تكـرار الانتقائيـة والحريـة ، الاول عـار عـن الصحة ولا يمكـن تقنيعـه بقنـاع والثـاني تكـرار مكسـو واقنعتـه وتخفياتـه تُعتبر عناصره الاولى والاخيرة والاساسية والوحيدة"[40]

في فلسـفة الاخـتلاف والتكـرار تطـرق جيـل دولـوز للمـرض والمعانـاة منـه فيقـول ان التكـرار هـو المعانـاة وفلسـفة التكـرار هي المـرض، وفي نفـس المضـمار يقـول ان الطبيـب يصـعب عليـه التمييـز بـين المـريض والموسـوس، فعنـد سـؤال الموسـوس عـن اوجاعـه ومما يشـكو مـن قبـل الطبيـب سيصـف للطبيـب نفـس الاوجـاع التي يشـعر بهـا المـريض الحقيقـي ممـا سـيولد لديـه مظهـر خـداع يصـعب على الطبيـب اكتشـافه والتمييـز بـين الحقيقـي والمزيـف لان فلسـفة التكـرار هـي المـرض والتكـرار الـذي يعنيـه دولـوز هـي معاناة المريض نفسه"[41]

ان للتكـرار دور فاعـل في تحـول الفـن الى مظـاهر خداعـة حسـب رؤيـة جيـل دولـوز وذلـك مـن خـلال قدرتـه الكبيـرة الى ابعـاد الحقـائق وازاحتهـا عـن مركزهـا وتـداخلها بعضـها مـع الـبعض الآخـر وتغليفهـا بالأوهـام ممـا يـؤدي الى تحولهـا الى مظـاهر خداعـة وذلـك لمـا يمتلكـه التكـرار مـن قـدرة على محاكـاة النسـخة ، وان كثـرة تلـك التكـرارات لتلك النسخ سيجعلها تبتعد عن الحقيقة ويضاف اليها اشياءً من الوهم"[42]

يرسـم دولـوز علاقـة التكـرار بالسـلب وذلـك مـن خـلال قولـه ان تكـرار الشـيء لا يعني بأنـه الشـيء نفسـه (هـو ، هـو) فهـو دائمـاً تكـرار المختلـف وان موضـوع الاخـتلاف يكمـن في التكـرار نفسـه ، وان كـان ذلـك الاخـتلاف لا يتعـارض مـع التكـرار لكنـه يفـرض عليـه نفسـه وبمـا ان للتكـرار القـدرة الكبيـرة على الاخـتلاف والتخـالف فسـيؤدي الى السـلبية ويبتعـد عـن الايجابيـة في تمثيـل الشـيء ممـا يـؤدي الى تغيـر في بعـض ملامـح ذلـك الشـيء المتكـرر ، ومـن الجـدير بالـذكر ان الاخـتلاف حسـب دولـوز قـد امتلـك هيمنـة طويلـة على تمثـل الاشـياء بـدأت مـن افلاطـون ، وان الاخـتلاف لـيسَ سـلباً ولـيسَ تعارضـاً بـل ان الاخـتلاف تأكيـد وتعيـين واقعي وايجـابي حيـث ان دولـوز يجعـل مـن كـل جديـد سـمة الاخـتلاف بـل ان الاخـتلاف هـو كـل جديـد لا بـل انـه الجـدة بعينهـا لكونـه يعبـر عـن الوجـود نفسـه بوصـفه اختلافـاً ويؤكـد نفسـه بوصـفه اختلافـاً ويؤكـد نفسـه كتعبيـر عـن ذلـك الوجـود " الاخـتلاف نفسـه هـو التكـرار ، للتكـرار قـدرة الاخـتلاف

والتخالف ، ويفسر دولوز الهيمنة الطويلة التي اخضعت الاختلاف لمتطلبات التمثل بدافعية اخلاقية بدأت من افلاطون"[43]

يُميزُ دولوز بين صنفين من التكرار ، الصنف الاول مجرد تكرار جامد يحيلنا الى المفهوم عينه ولا يحتفظ الا باختلاف خارجي بين نسخ عادية من الشكل نفسه ، وهو تكرار سلبي يمكن تفسيره بالتمثل للشيء وهو تكرار مشروط وجامد وامتدادي ، وهو تكرار المساواة والتناظر والدقة كونه خارج عن المفهوم ، اما الصنف الثاني من التكرار فهو تكرار داخلي ينتقل في كل لحظة بين نقطة بارزة الى اخرى ، وهو تكرار شيطاني مؤسس على اللا متساوي في المقياس واللا متناظر ، فهو مغلف بالأوهام على الرغم من انه بارز وفريد ، ومن الجدير بالملاحظة ان هذا النوع من التكرار يمتلك اسراراً كثيرة لذلك يجب تفسيره"[44]

بالعودة الى السميولاكرا وعلاقته بالاختلاف والتكرار يقول دولوز ان السميولاكرا هو حرفية التكرار لهذا وسمه بالمظهر الخداع وقال بأنه ليس مجرد محاكاة او تقليد ولكنه الفعل الذي بواسطته نجد ان فكرة النموذج والوضعية المفضلة قد قُلبت ، وذهب دولوز الى ابعد من ذلك فعرف السميولاكرا بأنه صورة شيطانية ويعيش من الاختلاف وله قدرة كبيرة على خلق تشابه وهمي بعيد عن الاصل والمركز " المظهر الخداع هو حرفية التكرار لهذا يعرف المظهر الخداع بانه ليس مجرد محاكاة وتقليد ، هو صورة شيطانية ويعيش من الاختلاف وينتج اثراً وهمياً من التشابه"[45]

ان التكرار قد رَسخَ في عقول الناس بأنه التمثل باعتباره نسخة عن هوية شيء ما وتشابه له ، وبهذا فهو غياب للاختلاف وتساوي بين العناصر المكررة، لكن هذا التصور للتكرار على النقيض تماماً مع مفهوم التكرار حسب تصور دولوز لكون الاخير يعتبر التكرار تكراراً عاري لأنه يضحي بالجزيء من اجل الكلي، حيثُ ان التكرار الحقيقي لدى دولوز هو التكرار الذي يكون خارج التصور التمثيلي، وذلك عندما نتأمل ماهيته العميقة ، وهو اشبه بالمعجزة لان التكرار عند دولوز هو تكرار ما لا يتشابه وهو حليفاً للاختلاف ، ودليل دولوز على ذلك استندَ على نظرية العود الابدي التي تنص على ان العود الابدي للأشياء هو عود لما يختلف وانه لا يتكرر الا ما يتخالف، لهذا فالتكرار هو اقوى صورة تُجسد فعل الاختلاف لكونه بعيد دائماً عن الهوية الاصلية وانه دائماً يربط المختلفات والمتباعدات لان التشابه لا يظهر منه

الا مفعوله السطحي بينما التكرار الذي يعنيه دولوز هو تكرار لجوهر الشيء ، وان ما يؤكد قول دولوز هذا هو ان قانون الطبيعة في تغير واختلاف دائمين "لا يتكرر الا ما لا يمكن قياسه ولا تشبيهه ولا نسخه ، فالتكرار ليس تشابها سطحيا، بل هو اختلاف دون مفهوم يضمه"[46]

ليست الهوية هي من تنتج الاختلاف ، بل ان الهوية هي التي تُنتَج بسبب تكرار ما يختلف ، لان الحياة ليست خطاً واحداً متصلاً ، بل هي عبارة عن اطراف منفصلة كل طرف منها يكرر الآخر ، لهذا قد وصفَ دولوز الاختلاف بالتكرار او بعبارة ادق وصفَ كل مختلف بالتكرار ، والمختلف هنا ليس مختلف ظاهرياً وانما جوهرياً، فحقيقة التكرار هو ما يتكون في ارتدائه للقناع ، هذا القناع الذي يحمل صفتين له وهي التمويه والتخفي كما ذكرناه في الفصل الاول من هذا البحث، فالتنكرات هي جينات التكرار ولهذا فالتكرار هو ما يتنكر في تكونه ويتكون في تنكره "هناك استعارة وتشبيه يتكرران كثيراً عند حديثه عن هذا المفهوم وهي استعارة القناع ، فحقيقة التكرار انه ما يتكون في تقنعه، او على التدقيق ما لا يتكون الا في تقنعه ، فالتنكرات هي جينات التكرار ، لهذا فالتكرار هو ما يتنكر في تكونه وما يتكون في تنكره ولهذا كان القناع هو الفاعل الحقيقي للتكرار"[47]

بعد ان بينا مفهوم الاختلاف والتكرار وعلاقة السميولاكرا بهما لابد من نتطرق الى الاوهام الاربعة التي تشوه الاختلاف والتكرار وعلاقة السميولاكرا بتلك الاوهام يقول جيل دولوز : "ان التمثل هو محل الوهم المتعالي ، لهذا الوهم اشكال عديدة : اربعة اشكال متخارقة، تقابل خاصة الفكر الحسي والأمثول والوجود"[48]

الوهم الاول متمثل بالصورة التي تغطي الفكر، تلك الصورة متكونة من مسلمات تشوه تكوين ذلك الفكر متمثلة بالهوية التي انزلقت من عالم المُثل الافلاطوني الى عالم التمثل الذي يشوبه التصنع، وبذلك سيختفي الاختلاف بالفكر وهذا ما يرفضه دولوز لان اصلاح الاختلاف في الفكر يعني هدم هوية المفهوم والذات المفكرة "يتغطى الفكر في الواقع بصورة ما ، مؤلفة من مسلمات تشوه ممارسته وتكوينه، وتبلغ هذه المسلمات الذروة في وضعية ذات مفكرة متطابقة ، بما هي مبدأ هوية بالنسبة الى المفهوم عموماً ، حدث انزلاق من العالم الافلاطوني الى عالم التمثل"[49]

اما الوهم الثاني الذي يشوه الاختلاف فهو اخضاع الاختلاف للتشابه وهذا ما يرفضه جيل دولوز، لان الاختلاف لا يستوجب مطابقة النسخة بالنموذج تماماً بل يكتفي بالتشابه الحسي مع ذاته بحيث تنطبق هوية المفهوم عليه، وهذا الوهم ينزع اللا متساوي والمتعدد الى ان يتساوى في الامتداد الكمي والكيفي، ومن هنا يبدأ هذا الوهم بتشويه صورة الاختلاف حسب منظور جيل دولوز لان طبيعة الاختلاف ليست في الكيف لأنه اختلاف مبني على الشدة ويختلط مع عمق الشيء وان الشدة التي يعنيها دولوز هي ليست حسية بل هي كيان الحسي اي ما ندركه وليس ما نحسه "يتعلق الوهم الثاني بإخضاع الاختلاف للتشابه ، فلم يعد محتاجاً الى ان تتشابه النسخة مع النموذج بدقة ، ان ينزع الاختلاف بالضرورة الى ان يُلغى في الكيف الذي يغطيه ، وفي الوقت نفسه ينزع اللا متساوي الى ان يتساوى في الامتداد، لان طبيعة الاختلاف ليست في الكيف الاختلاف اشتدادي"[50]

ان الوهم الثالث متعلق في اصل الوهم الذي يُخضع الاختلاف لقدرة السلبي الزائف ليس في العالم الحسي فحسب بل فيما يعمل في العمق ويتجسد في العالم الحسي بشكل سلبي ، وبما ان الاختلاف الذي يعنيه دولوز هو ايجابي لكونه يُعيد اي شيء الى شروط تكونه وايجاد الحلول الناجعة لحل اشكالاته ، وهذا النوع من الاوهام هو سلبي لكونه يُمكثُ السلب بمثابة القرين العاجز لكنه في نفس الوقت يمتلك قدرة ثانية هي قدرة المشكلة الفعالة المستمرة ، فهذا الوهم لا يضع الحلول لمشكلة ما وانما هي تأكيد لانعكاس المشكلة نفسها كمن يحيل الظل الى الظل ، وهذا ما يشوه صورة الاختلاف حسب نظر دولوز "يتعلق الوهم الثالث بالسلبي وبالطريقة التي يُخضعُ بها الاختلاف تحت شكل الحصر كما التعارض ، يقوم على احلال عمل السلبي محل لعب الاختلاف والتفاضل"[51]

ان آخر وهم يشوه الاختلاف حسب دولوز هو اخضاع الاختلاف للأحكام التي تُفرض عليه ، وتُفرض تلك الاحكام بطريقة القسمة بين المحمولات المتضادة في كل جنس، كالمتماثلات والمتعارضات ، المقاهيم الاصلية والمفاهيم المشتقة "الوهم الرابع اخيراً يتعلق بخضوع الاختلاف لتماثل الحكم ، لا تعطينا هوية المفهوم ايضاً في الواقع قاعدة تعيين عيني ، وتحضر فقط على انها هوية المفهوم الا متعين"[52]

يقـول جيـل دولـوز :"ان علينـا ملاحظـة ان الاوهـام الاربعـة للتمثـل تشـوه التكـرار كمـا تشـوه الاخـتلاف ، وهـذا لأسـباب قابلـة للمقارنـة في بعـض الاعتبـارات وهـي كالاتي:"[53]

1- لـيس التمثـل مجهـزاً بـأي مقيـاس مباشـر وايجـابي للتمييـز بـين التكـرار ونظـام العمومية التشابه او التعادل .
2- يتمثل التكرار كتشابه كامل او مساواة قصوى .
3- يُثير التمثل هوية المفهوم لتفسير التكرار وكذلك لفهم الاختلاف .
4- تجعل التكرار خارج المفهوم كما تجعل الاختلاف بلا مفهوم كذلك .
5- بسبب هذه الاوهام قد يُفسر التكرار بشكل سلبي .
6- تنزع هذه الاوهام كل وسيلة لتمييز التكرار الايجابي عن الشبه السلبي .
7- تبعدنا تلك الاوهام عن المقولة المأثورة ان الاشياء تتكرر عندما تختلف"[54]

بعـد ان بينـا الاوهـام الاربعـة التي تنـتج عـن التمثـل وكيـف انهـا تشـوه الاخـتلاف والتكـرار لابـد ان نبـين كيـف ان تلـك الاوهـام تشـوه صـورة السـميولاكرا ايضـاً ، فـالتكرار يعمـل علـى انتـاج النسـخ تحـت المفهـوم نفسـه ويقسـم الهويـة الـى هويـات متعـددة ضـمن المقـدار نفسـه حسـب مفهـوم ال (هـو، هـو) كمـا كثـر ديمـوقريطس الوجـود ، وكمـا فعـل بارمنيـدس ، اي بالمختصـر عمـل التكـرار على تكثير الاشـياء بشـكل متطـابق ومطلـق ، امـا تلـك الاوهـام عملـت على جعـل تلـك النسـخ عبـارة عـن نسـخ غير متطابقـة وخارجـة عـن مفهـوم الشـيء "لا يكتفـي التكـرار بتكثيـر النسـخ تحـت المفهـوم نفسـه ، بـل يشـطر الهويـة ذاتهـا كمـا شـطر وكثـر ديمـوقريطس الوجـود – والواحـد عنـد بارمنيدس الى ذرات"[55]

الخاتمة :-

ان مـا نخلـص اليـه في الختـام هـو ان الفيلسـوف الفرنسـي جيـل دولـوز اسـتطاع ان ينفـتح علـى نسـق متعـدد قـائم علـى مناهضـة المفـاهيم الكلاسـيكية القديمـة والتـي تشـكل شـجرة مترابطـة الجـذور وينفـتح على عتمـت الاحاسـيس والانفعـالات والرغبـات ذات الطبيعـة الجذموريـة ، لـذلك وجـه دولـوز باعتبـاره احـد فلاسـفة الاخـتلاف نقـداً للصـورة التقليديـة للفكـر في كتابـه الاخـتلاف والتكـرار ، وارجـع للسـميولاكرا مكانتـه التي كانـت مسـتبعدة في الفكـر الفلسـفي منـذ افلاطـون سـعياً منـه للبحـث عـن صـورة جديـدة للفكـر تعتمـدُ على الاخـتلاف الـذي يخلـص الفكـر الفلسـفي مـن كـل انغـلاق

منهجي ونسقي ومذهبي لصالح المتعدد والفريد ، صورة جديدة تعتمد على فلسفة التجربة المتعالية والجذمور والسميولاكرا ، وهو ما فتح امامه افاقاً لتجريب فلسفته الخاصة وابداع المفاهيم التي لم يسبقه احد من الفلاسفة في التطرق لها ، كل هذا ادى الى استطاعة دولوز من احداث تغيراً في طبيعة النسق الفلسفي وهو ما يسميه الاخير فلسفة النسق المفتوح والنسق المتعدد .

توصيات البحث :-

1- اجراء المزيد من البحوث والدراسات الفلسفية والتي تتناول السميولاكرا .
2- اجراء بحوث تسلط الضوء على مفهوم السميولاكرا في ظل التطورات التكنلوجية الهائلة في وسائل الاتصالات ولاسيما الشبكة العنكبوتية(الانترنت) .
3- توجيه الباحثين الى اهمية علاقة السميولاكرا بالتطور الحاصل في ميادين الحياة كافة كالفن والتطور العمراني وخصوصاً في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرون .

الهوامش:

1.Gilles Deleuze Félix Guattari: Mille Plateaux، capitalisme et schizophrénie 2 ، éditions de Minuit،Paris، 1980.p11.

2) يُنظر دولوز ، جيل : خارج الفلسفة- نصوص مختارة ،تر: عبدالسلام بنعبدالعالي وعادل حدجامي ، منشورات المتوسط ، ب.ط ، القاهرة ، 2021 ، ص 119 .

3) يُنظر مصطفى ، بدر الدين : دروب ما بعد الحداثة ، مؤسسة هنداوي للنشر ،ب.ط ،المملكة المتحدة ، 2018 ، ص 187.

4) يُنظر مصطفى ، بدر الدين : دروب ما بعد الحداثة، ص 190- 191 .

5) يُنظر المصدر نفسه ، ص 189 .

6) يُنظر المصدر نفسه ص 191.

7) المصدر نفسه ، ص 191- 192 .

8) يُنظر دولوز ، جيل : خارج الفلسفة- نصوص مختارة ، ص 74 .

9) المصدر نفسه، ص 71 .

10) حد جامي ، عادل : فلسفة جيل دولوز عن الوجود والاختلاف ، دار توبقال للنشر ، ط1 ، المغرب ، 2012 ، ص 202 .

11) دولوز ، جيل : خارج الفلسفة- نصوص مختارة ، ص 72 .

12) يُنظر دولوز ، جيل : الاختلاف والتكرار، ص 569 .

13) حد جامي ، عادل : فلسفة جيل دولوز عن الوجود والاختلاف ، ص 202 .

14) دولوز ، جيل : حوارات في الفلسفة والتحليل النفسي والسياسة ، تر: عبدالحي ازرقان واحمد العلمي ، دار افريقيا الشرق ، ب.ط ، المغرب ، 1999 ، ص 34 .

15.Ballantyne، Andrew. Deleuze and Guattari for Architects ،London: Routledge Press، 1- 2007 p. 99.

16) يُنظر مصطفى ، بدر الدين : دروب ما بعد الحداثة ، ص 190.

17) يُنظر المصدر نفسه، ص 189.

18) دولوز ، جيل : خارج الفلسفة - نصوص مختارة ، ص 114 .

19) المصدر نفسه، ص 114 .

20) دولوز ، جيل : خارج الفلسفة - نصوص مختارة ص 116 .

21) المصدر نفسه، ص 118 .

22) المصدر نفسه ، ص 119 .

23) دولوز ، جيل : الاختلاف والتكرار، ص 582 .

24) يُنظر مصطفى ، بدر الدين : دروب ما بعد الحداثة ، ص 185.

25) زياد عبدالكريم النجم : الخلاف والاختلاف ، موقع ساسة بوست ، تاريخ النشر 2017/8/10 تاريخ الاطلاع تشرين الثاني 2023.

https://www.sasapost.com/opinion/difference-and-dispute.

26) حد جامي ، عادل : فلسفة جيل دولوز عن الوجود والاختلاف ، ص 199 .

27) المصدر نفسه، ص 200 .

28) يُنظر المصدر نفسه ، ص 201- 202 .

29) دولوز ، جيل : الاختلاف والتكرار، ص 490 .

30) دولوز ، جيل : الاختلاف والتكرار، ص 501 .

31) يُنظر المصدر نفسه ، ص 509 .

32 . Gilles Deleuze: Différence et Répétition، PU F، Paris، 11editions، 2003، P.172.

33) دولوز ، جيل : الاختلاف والتكرار، ص 509 .

34) يُنظر دولوز ، جيل : الاختلاف والتكرار، ص 68 .

35) يُنظر حد جامي ، عادل : فلسفة جيل دولوز عن الوجود والاختلاف ، ص 204.

36) المصدر نفسه، ص 204- 205 .

37) يُنظر دولوز ، جيل : الاختلاف والتكرار، ص 501 .

38) المصدر نفسه، ص 519 .

39) المصدر نفسه ، ص 524 .

40) المصدر نفسه، ص 525 .

41) يُنظر دولوز ، جيل : الاختلاف والتكرار ، ص 529 .

42) يُنظر المصدر نفسه ، ص 530 .

43) المصدر نفسه، ص 554 .

44) المصدر نفسه، ص 555 .

45) دولوز ، جيل : الاختلاف والتكرار، ص 570 .

46) حد جامي ، عادل : فلسفة جيل دولوز عن الوجود والاختلاف ، ص 205.

47) المصدر نفسه ، ص 205 .

48) دولوز ، جيل : الاختلاف والتكرار ، ص 491 .

49) المصدر نفسه ، ص 491 .

50) المصدر نفسه ، ص 491- 492 .

51) المصدر نفسه، ص 492-493 .

52) دولوز ، جيل : الاختلاف والتكرار، ص 496 .

53) المصدر نفسه ، ص 497 .

54) المصدر نفسه، ص 497- 498 .

55) المصدر نفسه ، ص 499 .

المصادر والمراجع :-

اولاً: المصادر :-

- حدجامي ، عادل: فلسفة جيل دولوز عن الوجود والاختلاف، دار توبقال للنشر ، ط1، المغرب، 2012 .
- مصطفى، بدر الدين : دروب ما بعد الحداثة، مؤسسة هنداوي للنشر ، ب.ط، المملكة المتحدة ، 2018 .

ثانياً : المراجع :-

- دولوز ، جيل : الاختلاف والتكرار ، تر: وفاء شعبان ،المنظمة العربية للترجمة ، ط1 ، بيروت ، 2009 .
- دولوز ، جيل : خارج الفلسفة- نصوص مختارة ، تر: عبدالسلام بنعبدالعالي وعادل حدجامي ، منشورات المتوسط ، ب.ط ، القاهرة ، 2021 .
- دولوز ، جيل : حوارات في الفلسفة والتحليل النفسي والسياسة ، تر: عبدالحي ازرقان واحمد العلمي ، دار افريقيا الشرق ، ب.ط ، المغرب ، 1999 .

ثالثاً : المصادر والمراجع الاجنبية :-

- Gilles Deleuze: Différence et Répétition، PU F، Paris، 11editions، 2003.

-Gilles Deleuze Félix Guattari: Mille Plateaux، capitalisme et schizophrénie 2، éditions de Minuit، Paris، 1980.

Ballantyne، Andrew. Deleuze and Guattari for Architects،London: Routledge Press، 1-2007.

رابعاً / شبكة المعلومات (الانترنت) :-

- زياد عبدالكريم النجم : الخلاف والاختلاف ، موقع ساسة بوست ، تاريخ النشر 2017/8/10 ، تاريخ الاطلاع تشرين الثاني 2023 .

https://www.sasapost.com/opinion/difference-and-dispute

The concept of semiotics in the philosophy of Gilles Deleuze

Prof Dr. Muhammad Abdullah Al-Khalidi
College of Arts - University of Baghdad

Bashir Khudair Dhiab Hassan
College of Arts - University of Baghdad
Bshyrkhdyr870@gmail.com

Keywords: philosophy. Semiocracy, Gilles Deleuze.

Summary:

Since its inception in the 1960s and 1970s، the postmodernism has undergone many transformations and changes in terms of aesthetic concepts and standards. In the field of aesthetic، the compilations and writings of critics، philosophers and postmodernism theorists have addressed many new issues، terminology، theories and concepts. The concept of the Simulacra is one of the concepts associated with the postmodernism era. It was studied and analyzed by a group of philosophers of the time، notably Gilles Dulouz،. The concept of the Simulacra was developed in a long and complex discourse throughout the history of philosophy، as it has reached its zeal with the forefront of theoretical thought in the latter part of the twentieth century، in the work of theorists، where their writings included different views on the concept of the simulacra، which seemed hidden، and more connected to the postmodern era